

العمل

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فُضِّتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ: «لأنَّ يَحْمِلُ الرَّجُلَ حَبْلًا فَيَحْتَطِبُ، ثُمَّ يَجِيءُ فَيَضَعُهُ فِي السُّوقِ فَيَبِيعُهُ ثُمَّ يَسْتَعِينُ بِهِ، فَيَنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»^١. وكان رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم، فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر في السعي، فقالوا: ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان»^٢.

أيها المسلمون:

لما خلق الله هذه الأرض وهؤلاء العباد خلقهم متكاملين، يساعد بعضهم بعضاً، ويساند بعضهم بعضاً، فيعيشون في هناء، وتبقى الأرض في سلام.

ثم إن الله عز وجل أنزل شرعه الخاتم وهو الإسلام، وأرسل نبيه الأعظم سيدنا محمداً ﷺ؛ ليبين للناس كيف يهنئون ويسعدون، فيعلمهم ما يسعدون به، وينهاهم عما يشقون به، ويعزز فيهم الأمور التي أرادها الله لإصلاح وعمارة الأرض، وينزع منهم الأمور التي فيها خراب الأرض.

وإن العمل في الحلال من سنن الله عز وجل في إعمار هذه الأرض، وفي سعادة العباد عليها.

١- أخرجه - بهذا اللفظ - الإمام أحمد في "مسنده" برقم (١٤٠٧) من حديث الزبير بن العوام، وهو من حديث الزبير بشيء من اختلاف في "صحيح البخاري" برقم (١٤٧١).

والحديث في "صحيح البخاري" وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً.

٢- أخرجه الطبراني في "الكبير" برقم (٢٨٢)، و"الأوسط" برقم (٦٣٥)، ثم قال: تفرد به محمد بن كثير، ولا يروى عن كعب بن عجرة إلا بهذا

وإن العمل في الحلال من لوازم الحياة وضرورات المعيشة.

وإن العمل في الحلال من أمر الله تعالى، ومن سنن رسول الله ﷺ.

وإن ترك العمل مُغضبٌ لله، مؤسِفٌ لرسول الله ﷺ.

ولذلك نرى الإسلام الحنيف حَضَّ على العمل، ونهى عن البطالة والكسل.

ولذلك نرى القرآن الكريم أَمَرَ باتخاذ المعاش، ونهى عن الفتر والقعود.

ولذلك نرى رسول الله ﷺ رَغِبَ في الكسب، وشَدَّدَ ونَدَّدَ بالفتور وسؤال الناس، فكان رسول الله ﷺ

يعمل ويأمر أصحابه بالعمل.

فقد عمل رسول الله ﷺ في رعي الغنم، وعمل في البيع والشراء والتجارة في مال عمه ومال خديجة،

وإذا كان في بيته كان في مهنة عياله.

وهكذا سائر صحابة رسول الله ﷺ، كانوا يعملون في طلب الرزق، لا يُثْنِيهم عن ذلك شيء، خاصة

بعدما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ الأحاديث المرغبة بالرزق.

قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحدٌ طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده»^٣، وقال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: «أفضلُ الكسبِ: بيعُ مبرور، وعمل الرجل بيده»^٤، وقال رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم: «إذا فُتِحَ لأحدكم رزقٌ من باب فليزمه»^٥.

بل إن رسول الله ﷺ كان يُشَدِّد على مَنْ تَرَكَ الكسب، فقد رأى النبيُّ الأعظم ﷺ يوماً في المسجد

رجلاً من أصحابه يسأل الناس يتسوّل، فدعاه ونهاه عن المسألة، ثم قال له: «أليس لك حرفة؟» قال:

لا، قال: «أليس معك مال؟» قال: لا، قال: «أليس في بيتك شيء؟» قال: قدرٌ نطهو به الطعام،

قال: «اتني به»، فجاءه به، فرفعه ﷺ في مسجده الشريف، وقال: «مَنْ يشتري هذا؟ من يشتري

هذا؟» فقال رجل: أنا بدرهم. قال: «مَنْ يزيد؟» قال رجل: بدرهمين. قال: «مَنْ يزيد؟» فلم يزد أحد،

فباعه ﷺ بدرهمين، ثم قال للرجل: «خذ درهماً فأطعم به عيالك، ودرهماً اشترى به فأساً ثم عد به

إلي». وذهب الرجل وعاد بفأس فصنع له رسول الله ﷺ بيديه الشريفتين عصاً لفأسه. ثم قال له:

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٠٧٢)، وأحمد في "مسنده" رقم (١٧١٨١) عن المقدم بن معد يكره ﷺ.

٢- أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (١٥٨٣٦)، والطبراني في "الكبير" برقم (٤٤١١) عن رافع بن خديج ﷺ.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (٦٢١٠): رجاله رجال الصحيح سوى المسعودي وهو ثقة لكنه اختلط.

٣- رواه البيهقي في "شعب الإيمان" برقم (١٢٤٣) من حديث عائشة ﷺ.

«خذ هذا واذهب واحتطب، ثم بَع، ولا أراك إلا بعد أيام»، فذهب الرجل وصنع ما قال له النبي الأعظم ﷺ المعلم الكريم، ثم رآه ﷺ بعد خمسة عشر يوماً على غير الحالة التي تركه بها، وَجَدَهُ مسروراً ضاحكاً، قال: «ما صنعتَ يا فلان؟» قال: لقد أغناني الله من فضله يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لأنَّ يحمل الرجل حبلاً فيحتطب به ثم يجيء فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغني، فينفقه على نفسه، خيرٌ له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعه»^٦.

وكان رسول الله ﷺ يقول: «من طلب الدنيا حلالاً، وتعطفاً عن المسألة، وسعيًا على عياله، وتعطفًا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»^٧.

وكان رسول الله ﷺ يذكر لأصحابه أعمال الأنبياء يُرغبهم في العمل:

فقد عمل سيدنا نوحٌ عليه السلام في التجارة.

وعمل سيدنا آدمٌ وسيدنا أيوبٌ عليهما السلام في الزراعة.

وعمل سيدنا إدريسٌ عليه السلام في الخياطة.

وعمل سيدنا داودٌ عليه السلام في صناعة الدروع.

وكان سيدنا يوسفٌ عاملاً عند عزيز مصر -موظفًا-.

وكان سيدنا داودٌ عليه السلام نبياً مَلِكاً آتاه الله الملك، يأكل من بيت المال، وكان يَتَنكر فينزل السوق يَسأل الناس عن حال حَاكهم فيهم، فيقولون: نِعَم الرجل، نِعَم الحاكم، إنه عادل، حتى أرسل الله له ملكاً جاءه بصورة شيخ كبير، قال داود: يا عم، كيف حال أميركم فيكم؟ فقال: داود، نِعَم الرجل لو كان يأكل من عمل يديه، فَعَمَلَ بعدها داود في صناعة الدروع.

وَحَفِظَ الصحابة الكرام هذه الدروس النبوية، وَوَعَوْا أوامر الله:

فكان عمر رضي الله عنه يقول: (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته).

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٤٧١)، وأحمد في "مسنده" برقم (١٤٠٧) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

٢- أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" برقم (٢٢١٨٢)، والطبراني في "مسند الشاميين" برقم (٣٤٦٥)، والبيهقي في "شعب الإيمان" برقم

(١٠٣٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال عمر رضي الله عنه: (إني لأرى الرجل يُعجبني، فأسأل عنه فيقال: لا حِرْفة له؛ فيسقط من عيني)، ويقول أيضاً: (ما من موضع يأتي الموت فيه أحب إلي من موطن أتسوّق فيه لأهلي أبيع وأشتري).

أيها المسلمون:

هكذا رَغِبَ الإسلام بالعمل، وشجّع عليه، ولكن الإسلام - كعادته - له مواقف من العمل، فهل كلُّ عملٍ مبرورٌ؟ هل كلُّ عملٍ مأجورٌ؟ وهل هناك آداب للمسلم في هذا العمل حتى ينال هذا الأجر الكبير؟

نعم أيها الإخوة، إن للعمل آداباً حتى ينال صاحبه رِضَى الله ورضى رسول الله صلّى الله عليه وآله وهي:

١- **يَنُوي نِيَّةً صَالِحَةً بِعَمَلِهِ**: النبي صلّى الله عليه وآله يقول: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»^١، فلينوِ أحدنا إذا خرج من بيته صباحاً للعمل أنه خارج لقضاء حوائج الناس، وتيسير مصالحهم وأمورهم، فيكتب الله له بكل يومه أجراً؛ لأنه قاضٍ لحوائج الناس، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»^٢.

أو لينوِ إعفافَ نفسه عن الحرام، أو إعفافَ أولاده، أو إغناءَ والديه، فيكتب له جهادٌ في سبيل الله كلَّ يومه ما دام في العمل، فإن نِيَّةَ المؤمن خير من عمله.

أما مَنْ خَرَجَ رِيَاءً وَتَفَاخُرًا، وَتَكَاثُرًا فِي الْمَالِ لِيَتَكَبَّرَ عَلَى الْخَلْقِ وَيَتَبَاهَى؛ فَهُوَ فِي عَمَلِهِ مَمْقُوتٌ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ.

٢- **يَبْكِيرٌ إِلَى عَمَلِهِ**: فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بَكُورِهَا**»^٣، وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «**بَاكِرُوا فِي طَلْبِ الرِّزْقِ وَالْحَوَائِجِ، فَإِنَّ الْغَدُوَ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ**»^٤.

٣- **لِيَكُنْ سَمْحًا فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ**: يُخَفِّفُ عَنِ النَّاسِ، وَيُجَبِّبُهُمْ بِهِ، وَيُنَالُ دَعْوَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وآله: «**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى**»^٥.

ما يترافق مشوق

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١) وأحمد في "مسنده" برقم (١٦٨).
٢- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٣٢٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٥٥٢) وأحمد في "مسنده" برقم (١٣٣٨٩)، من حديث أنس رضي الله عنه.

١- أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (١٢١٢)، وأحمد في "مسنده" برقم (١٤٣٨)، وابن ماجه في "سننه" برقم (٢٢٣٦) من حديث صخر الغامدي رضي الله عنه.

٢- أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط" برقم (٧٢٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

١٢- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٠٧٦) من حديث جابر رضي الله عنه.

أما أن يكون جلفاً قاسياً فظاً؛ فإن الله لا يحب كل مُتعالٍ قاسٍ مُتعتت.

٤- ليتخير من العمل الحلال، ويتعد عن العمل الحرام: وإن الحلال بَيِّن، والحرام بَيِّن، ولا يُقُل: إن الحلال مُفَقِّر، وإن الحرام سَهْلٌ مُغْنِي، فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يُعْجِبَنَّكَ امرؤٌ كَسَبَ مَالاً من حرام، فإنه إن أنفقَه وتصدق به لم يُقبل منه، وإن تركه لم يبارك له فيه، وإن بقي منه شيء كان زاده إلى النار»^{١٣}، وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة لحمٌ نبت من سُحتٍ، النار أولى به»^{١٤}.

فلا عذر لمن يعمل في الحرام وطُرقه، ووالله إن الحرام يَمَحِقُ البركة، ويذهب الحرام بالحلال، وإن الدنيا فانية، وإن الرّب بصير، وإن الحساب عسير.

جاء في الحديث: «ليأتين على الناس زمانٌ لا يبالي المرءُ أبجلاً أخذَ المالَ أم بحرام»^{١٥}.

٥- أن يتعلم أمور الحلال والحرام في الشرع: حتى لا يقع في الحرام من دون علم، ثم يقول: كنت لا أعلم، فإن الله لا يعذر على الجهل، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به. ولذلك زُوي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق، ويقول: (لا يبيع في سوقنا إلا مَنْ يفقهه، وإلا أكل الربا، شاء أم أبى).

وزُوي عن الامام علي كرم الله وجهه: (من لم يعرف الفقه ارتطم بالربا).

٦- النَّصْح للناس وعدم الغش: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا»^{١٦}. وقال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة»^{١٧}.

٧- الصدق وبر اليمين: خرج رسول الله ﷺ إلى السوق فنادى: «إنَّ التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً، إلا من اتقى وبرَ وصدق»^{١٨}، وقال رسول الله ﷺ: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»^{١٩}.

مَنْ تَرَكَ قَافَةَ مَشَقِّهِ

٤- أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" برقم (٣٦٧٢)، والحاكم في "المستدرک" برقم (٢١٣٨).

٥- أخرجه بنحوه الترمذي في "سننه" برقم (٦١٤)، والحاكم في "المستدرک" برقم (٧١٦٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

٦- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٠٥٩)، وأخرجه أحمد في "مسنده" برقم (١٠٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١- أخرجه البخاري في "صحيحه"، ومسلم في "صحيحه".

٢- أخرجه البخاري ومسلم في "صحيحهما".

٣- أخرجه الحاكم في المستدرک برقم (٢١٤٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

وفي لفظ آخر عند الحاكم برقم (٢١٤٥): «إن التجار هم الفجار». قالوا يا رسول الله، أليس الله قد أحل البيع؟ قال: «بلى، ولكنهم يخلفون

فيأثمون، ويحدثون فيكذبون»، وكذا صححه ووافقه الذهبي.

٨- أن يتصدق من عمله، ومن المال الذي يجنيه من عمله: يُبارك له في العمل والمال والرزق. قال رسول الله ﷺ: «يا معشر التجار، إن البيع يحضره اللغو والحلف، فشوبوه بالصدقة»^{٢٠}. وجاء في حديث رسول الله ﷺ: «بينما رجلٌ سائر، إذ سمع رعداً في السماء، فسمع صوتاً أن اسقى حديقةً فلان، فجاء ذلك السحاب إلى حديقته فأفرغ ماءه فيها، فاتبع السحاب، فإذا رجل قائم يصلي في الحديقة، فقال له: ما اسمك؟ قال: فلان. قال فما تصنع بحديقتك هذه إذا صرمتها؟ قال: ولم تسأل عن ذلك؟ قال سمعت صوتاً في السحاب أن اسقى حديقة فلان. قال: أما إذا قلت؛ فأبني أجعلها أثلاثاً، فأجعل لنفسي وأهلي ثلثاً، وأردّ عليها ثلثاً وأجعل للمساكين وابن السبيل ثلثاً»^{٢١}.

٩- أن يرضى المرء بالفقر إن لم يُغنيه الله مع اجتهاده في العمل: فوالله إن المال فتنة إن لم يعمل بها الغني في رضى الله كان المال سبب هلاكه، فقد جاء في الحديث: «يا معشر الفقراء، أعطوا الله الرضى في قلوبكم تظفروا بثواب فقركم، وإلا فلا»^{٢٢}.

أيها المسلمون:

هذا هو العمل وثوابه، وهذه أهم آدابه في الإسلام، فمن التزمها سعد في الدنيا، ونال الأجر في الآخرة، ومن تركها تعب في الدنيا، وهو في الآخرة أشدّ تعباً.

والحمد لله رب العالمين

مَدِينَةُ رِوَاةٍ وَمَشْرِقُهَا

٤- أخرجه الترمذي في "سننه" برقم (١٢٢٧).

٥- أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٣٣٢٦)، والنسائي في "سننه" برقم (٣٧٩٨)، والترمذي بنحوه برقم (١٢٢٥).

١- أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٤).

٢- أخرجه الديلمي ٥/٢٩١، برقم (٨٢١٦).